

وقفات مع حادثة الإسراء والمعراج

بقلم الاستاذ زياد احمد سلامة



«سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير».

الإسراء هو انتقال الرسول عليه السلام ليلاً من مكة المكرمة الى بيت المقدس، والمعراج هو صعوده عليه الصلاة والسلام من بيت المقدس الى السموات العلا.

هناك خلاف مشهور بين العلماء ان كانت هذه الحادثة قد تمت بالروح وحدها ام بالروح والجسد، وما عليه الجمهور انها تمت بهما معاً، قال الامام النووي في شرح مسلم: (والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بجسده صلى الله عليه وسلم، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها، ولا يُغْدَلُ عن ظاهرها الا بدليل، ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج الى تأويل) وقال ابن حجر العسقلاني: (ان الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسده وروحه، والى هذا ذهب جمهور من علماء الحديث والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج الى تأويل)، والذين يقولون بان الإسراء والمعراج قد تمّا بالروح يستندون الى حديث عائشة حيث كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه ويروى عنها حديث معناه انها قالت: ما فارق جسدي جسده، وان معاوية كان يقول اذا سئل عن مسرى الرسول عليه السلام: كانت رؤيا من الله صادقة، ويستشهد هؤلاء ايضاً بقوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة

للناس) والرؤيا ما يراه النائم من أحلام، ويرد على هؤلاء بان الحادثة لو كانت رؤيا بالمنام فلماذا اعترضت قريش واستنكرت، والحلم والرؤيا أمر عادي عند البشر ويرى النائم خيالات كثيرة مستغربة لكنها لا تبعث على الدهشة عند سامعها، ويرد كذلك بان الله تعالى قد قال في حديثه عن هذه الحادثة واصفا نبيه الكريم بانه (عبد) فقال: (سبحان الذي أسرى بعبده) ولم يقل بروح عبده، فيبقى الحديث على ظاهره دون تأويل، ويرد على حديث عائشة بأنها كانت صغيرة أيام حادثة الاسراء والمعراج، ولم تكن قد تزوجت النبي عليه السلام (الأمر الذي تم سنة ٢هـ) لتفتقد جسده في فراشه.

ويرد ايضاً بأن مفهوم الروح لايمكننا من القول بان الإسراء قد تم بالروح وحدها، وذلك ان للروح في الاسلام عدة معان، فهي بمعنى سر الحياة (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا) ووردت وأريد بها جبريل عليه السلام (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) ووردت وأريد بها الشريعة (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) والروح بمعنى النفخة الروحية التي نفخها الله في الانسان عندما خلقه اول مرة (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فأى الارواح مما سلف أسرى به! فمن غير المعقول ان تكون الروح التي اسرى بها هي سر الحياة فعندها سيكون الرسول عليه السلام قد (مات) في هذه الساعة وهذا مالم يحصل ولم يقل به أحد! على أية حال ان الله قال: بانه اسرى بعبده ويبقى الأمر على ظاهره من ان الاسراء بالجسد، وما جاء من احاديث اخرى فهي أخبار آحاد (ان صحت).

ونقل ابن حجر العسقلاني اختلافاً أيضاً إن كان الإسراء والمعراج حادثين متلازمين حدثا معاً أم أنهما حادثان منفصلان، فقال: (وقد وقع في ذلك اختلاف فقيل: كانا في ليلة واحدة في يقظته صلى الله عليه وسلم وهذا هو المشهور عند الجمهور وقيل كانا جميعاً في ليلة واحدة في منامه، وقيل وقعا جميعاً مرتين في ليلتين مختلفتين احدهما يقظة والاخرى مناماً، وقيل كان الاسراء الى بيت المقدس خاصة في اليقظة وكان المعراج مناماً، إما في تلك الليلة أو في غيرها، وأضاف ابن حجر: والذي ينبغي ان لايجري فيه الخلاف ان

الاسراء الى بيت المقدس كان في اليقظة لظاهر القرآن).

وقال أيضاً: (وذهب بعضهم الى ان الإسراء كان في اليقظة والمعراج كان في المنام، أو ان الاختلاف في كونه يقظة أو مناماً خاص بالمعراج لا بالاسراء، ولذلك لما أخبر به قريشاً كذبوه في الإسراء، واستبعدوا وقوعه ولم يتعرضوا للمعراج).

تاريخ الحادثة:

اختلف في تحديد تاريخ وقوع حادثة الاسراء والمعراج على نحو سبعة عشر قولاً فقيل:

- ١ - انه حدث قبل البعثة : قال ابن حجر: وهو شاذ إلا أنه حمل على انه وقع حينئذ في المنام.
- ٢ - وقيل : كان الاسراء في السنة التي أكرمه الله فيها بالنبوة، اختاره الطبري.
- ٣ - وقيل : كان ذلك بعد المبعث بخمس سنين، رجح ذلك النووي والقرطبي.
- ٤ - وقيل : ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٠ من النبوة، واختاره العلامة المنصور وحكاها ابن الأثير.
- ٥ - وقيل قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً (واختلف ان كان في رجب او رمضان) فالى الاول ذهب ابن سعد والى الثاني ذهب ابن عبد البر وجزم به النووي في الروضة.
- ٦ - وقيل قبل الهجرة بخمس سنين (في السنة السابعة للبعثة) رجحه عياض ومن تبعه.
- ٧ - وقيل انه تم قبل الهجرة بسنة وخمسة اشهر قاله السدي وقيل كان في رمضان او شوال.
- ٨ - وقيل قبل الهجرة بسنة وثلاثة أشهر حكاها ابن فارس.
- ٩ - وقيل قبل الهجرة بسنة وشهرين حكاها ابن عبد البر.
- ١٠ - وقيل قبل الهجرة بسنة في ربيع الآخر ورجحه ابن المنير.
- ١١ - وقيل قبل الهجرة باحد عشر شهراً جزم به ابراهيم الحربي.
- ١٢ - وقيل في رجب سنة اثنتي عشرة من النبوة.
- ١٣ - وقيل قبل الهجرة بثمانية اشهر حكاها ابن الجوزي.

- ١٤ - وقيل قبل الهجرة بستة أشهر حكاه أبو الربيع بن سالم.
- ١٥ - وقيل وقع مرتين: مرة على انفراده ومرة مضموماً اليه المعراج وكلاهما في اليقظة، والمعراج وقع مرتين، مرة في المنام على انفراده توطئة وتمهيداً، ومرة في اليقظة مضموماً الى الإسراء.
- ١٦ - قال ابن حجر : وجنح الإمام أبو شامة الى وقوع المعراج مراراً.
- ١٧ - واستغرب ابن حجر ما ورد عن ابن عبد السلام في تفسيره: كان الاسراء في النوم واليقظة ووقع بمكة والمدينة.
- وعلى هذا فليس هناك تاريخ محدد موضع قبول عند علماء المسلمين في تحديد زمن الإسراء والمعراج ولكن الدلائل تشير الى أن زمنه كان في النصف الثاني من البعثة والأقرب انه كان في أجواء ما قبل الهجرة بأشهر أو سنوات لاتتجاوز الثلاث، في السنة العاشرة للبعثة كان عام الحزن، العام الذي توفي أبو طالب والسيدة خديجة رضي الله عنها، (جزمت السيدة عائشة ان السيدة خديجة توفيت قبل ان تفرض الصلاة، أي تفرض الصلوات الخمس بعدها فلم تكن الصلاة قبل الاسراء ذات أوقات معينة أو عدد معين)، (وذكر ابن كثير في تاريخه ان جبريل عليه السلام جاء النبي عليه السلام صبيحة ليلة الاسراء فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها) وقيل (إن فرض الصلاة اختلف فيه فقيل كان من اول البعثة وكان ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي وانما الذي فرض ليلة الاسراء الصلوات الخمس) والشاهد أنه ثبت ان خديجة توفيت في السنة العاشرة للبعثة، وإن الصلاة فرضت بعدها ليلة الاسراء اي بعد وفاة خديجة وقبل الهجرة فمن المحتمل ان يكون تاريخ الاسراء بعد السنة العاشرة للبعثة، ومعظم التواريخ كما مر تدور ما بين (شوال سنة ١٢ للبعثة والى ما قبل الهجرة بستة أشهر أي في رمضان سنة ١٣ للبعثة) لذا فانني اميل الى اعتبار الفترة ما بين شوال ١٢ للبعثة وصفر ١٣ للبعثة وهي الفترة التي تقاربت فيها الروايات التي تذكر حادثة الاسراء هي الفترة المحتملة لأن تكون رحلة الاسراء والمعراج قد تمت فيها وعلى أية حال ليس هناك ما يقطع في الأمر.
- واختلف كذلك في حادثة شق صدره الكريم عليه السلام ان كان حدث في

ليلة الاسراء، أم في غيره من المناسبات، وذكر ابن حجر أن هناك خمس روايات تتحدث عن مناسبات مختلفة لشق الصدر، فقال: (ورجح عياض أن شق الصدر كان وهو صغير عند مرضعته حليلة، وتعقبه السهيلي بأن ذلك وقع مرتين وهو الصواب، وقال ابن حجر: وقد روى الطيالسي والحارث في مسنديهما من حديث عائشة أن الشق وقع مرة أخرى عند دجيء جبريل له بالوحي في غار حراء والله أعلم، وروي الشق أيضاً وهو ابن عشر أو نحوهما في قصة له مع عبد المطلب أخرجه أبو نعيم في الدلائل وروي مرة خامسة لا تثبت)، وقد جاء في الحديث الشريف: (كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم اطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا..).

موقع الحادثة في الدعوة

قبيل حدوث الاسراء والمعراج برزت عدة قضايا ومشكلات في تاريخ الدعوة الإسلامية، ففي السنة العاشرة للبعثة انهار حصار قريش الاقتصادي والاجتماعي الذي فرضته قريش على المسلمين قرابة السنوات الثلاث، وكان تمزيق الصحيفة اشارة الى تغيير في موقف قريش من الدعوة الإسلامية (تغييراً في كيفية المواجهة وليس تغييراً ايجابياً نحو الرسالة) و اشارة الى ان المسلمين قد اكتسبوا مزيداً من الثقة بالنفس والتصميم على الاستمرار بالدعوة بقوة، الا ان موت ابي طالب عم النبي عليه السلام وزوجته خديجة قد شجعا قريشاً على الضغط على الرسول عليه السلام، ويقول ابن اسحاق في توضيح تأثير وفاة خديجة وابي طالب على الرسول عليه السلام: فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلاك خديجة وابي طالب، وكانت خديجة وزيرة صدق على الاسلام وكان يسكن إليها، أما ابو طالب فكان للرسول كما يذكر ابن هشام عضداً وحزراً في أمره ومنعة وناصرأ له على قومه) وبعد وفاة أبي طالب انتقلت زعامة بني هاشم الى ابي لهب أشد اعداء الدعوة الإسلامية (فالتزم الرسول عليه السلام بيته وأقل من الخروج الى قومه)، وأما أبو لهب

الذي شعر بالمسؤولية وإن من واجبات مركزه الاجتماعي الجديد ان لا يتخلى عن ابن أخيه فقد قال لابن أخيه (يا محمد امض لما أردت وماكنت صانعاً اذ كان أبو طالب حياً فاصنعه) ولكن ضنوط قریش على أبي لهب اعادته الى سالف عهده وبذلك عادت الأمور سيئة بالنسبة الى النبي عليه السلام والدعوة الاسلامية في مكة، وبذلك بدا تحجر المجتمع المكي تماماً أمام النبي عليه السلام ولم يعد في مقدوره ضمن هذه الظروف تحقيق الهدف الرئيسي في إقامة الدولة الاسلامية، فأخذ النبي عليه السلام يبحث عن ناصر لهذه الدعوة، فقام النبي عليه السلام يعرض نفسه على القبائل لتحمل معه راية الدعوة وتحقق الهدف الاسمي (فأتى كندة في منازلها، وأتى كلباً في منازلها، وأتى بني حنيفة وبني عامر بن صعصعة فلم يسمع له أحد وردوه جميعاً رداً غير جميل بل رده بنو حنيفة رداً قبيحاً، أما بنو عامر فطمعوا اذا هو انتصر ان يكون لهم الأمر من بعده فلما قال لهم ان الامر الى الله يضعه حيث يشاء لووا عنه وردوه كما رده غيرهم) وهكذا اعرضت مكة عن الاسلام واعرض أهل الطائف من قبل في حادثتهم المشهورة والتي زادت من تعرضه عليه السلام للمضايقة على الصعيد الشخصي اما على صعيد الدعوة فبدت وكأنها تراوح مكانها، وهنا كان لابد من تحريك لهذا الهدوء الآسن لابد من اعادة التأثير في الناس، فكانت حادثة الاسراء والمعراج التي هزت مجتمع مكة هزاً عنيفاً واعادت ذكر الاسلام على كل لسان بالإضافة الى انها هزت المشركين وجعلتهم يراجعون انفسهم في تعاملهم مع الايمان بالنبوة وبالغيب، جعلت هذه الحادثة أيضاً المسلمين واقعين تحت دائرة الاختبار، ففرزت هذه الحادثة صحيح الايمان من ضعيفه من سقيمه (وساورت بعض المسلمين بعض الريب حتى ارتد بعض المسلمين) كما جاء في كتب السير النبوية.

وبهذا كانت هذه الحادثة العظيمة تمهيداً لأن تبدأ مرحلة جديدة في مراحل الدعوة الاسلامية وهي مرحلة بناء الدولة التي ستكون على يد رجال آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ايماناً جازماً من غير تردد قادرين على مواجهة أي

تحد أو أي ضغط، وكان ان يسر الله تعالى لنبيه الكريم عليه السلام الأوس والخزرج، فكانت الهجرة، وكان تحقيق الهدف العظيم بإقامة الدولة الاسلامية.

موقع الحادثة في العقيدة الإسلامية

عندما عاد الرسول عليه السلام من رحلة الاسراء والمعراج قرر أن يخبر قومه بما رآه رغم انه كان يدرك رد فعلهم المكذب سلفاً، تروي أم هانيء وهي ابنة عم الرسول عليه السلام (ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي، نام عندي تلك الليلة في بيتي فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسل، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: يا أم هانيء لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم قد صليت صلاة الغداة معكم كما ترين، ثم قام ليخرج فأخذت بطرف رداءه فتكشف عن بطنه كأنه قبطية مطوية فقلت له: يا نبي الله، لاتحدث بهذا الناس فيكذبوك ويؤذوك، قال: والله لأحدثنهموه) فمواجه استغراب الناس من هذه الحادثة وكيف علينا ان نؤمن بها؟

١ - هذه الحادثة هي معجزة بلاشك وهي تدل على قدرة الله تعالى الذي يستطيع ان ينقل اي شخص أو أي جسم من مكان الى آخر دون وسيلة نقل معهودة ومعروفة في زمانها، لذلك عندما استغرب الكفار هذا الأمر قابله المسلمون وعلى رأسهم ابو بكر بالتصديق الجازم، لأن المسلمين يدركون (ان الله على كل شيء قدير) و(انما أمره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون).

٢ - الموقف من الغيبيات : كان الايمان بصدق نبوة النبي عليه السلام موضع ايمان مطلق عند الصحابة بشكل عام، لهذا فعندما حدثهم النبي عليه السلام بالأمر سارعوا الى التصديق كما حصل مع أبي بكر الصديق بعد أن حاولت قريش نزع ثقته بالنبي عليه السلام فقد ذكر ابن هشام (ذهب الناس الى ابي بكر فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك يزعم انه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة، فقال لهم ابو بكر: انكم تكذبون عليه، فقالوا: بلى، هاهو ذاك في المسجد يحدث به الناس، فقال ابو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدق)، من هذا المنطلق - الايمان بصحة النبوة وصدقها - كان تصديق

ابي بكر وصحبه ، وتكذيب قريش ومن لف لفها، والمسلم اينما كان عليه الايمان بالمغيبات التي جاءت في القرآن الكريم أو السنة المتواترة لأنه قد ثبت له صحة نبوة الرسول عليه السلام من خلال إعجاز القرآن الكريم، وثبت له صحة نسبة القرآن الكريم الى الله تعالى وانه ليس من وضع الرسول عليه السلام (تنزيل من رب العالمين، ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين) (ام يقولون افتراه، قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) (ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) (ام يقولون افتراه، قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً) وعليه فمن مقتضيات الايمان وحيث ان المقدمات الصحيحة يجب ان تؤدي الى نتائج صحيحة، فيجب علينا بداهة ان نؤمن ونصدق بكل ما جاء به القرآن الكريم من أمور غيبية مثل الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والجن والشياطين ومن ذلك ايضاً حدوث حادثة الإسراء والمعراج وأما الكفار الذين ينكرون الايمان بنبوة النبي عليه السلام وصحة نسبة القرآن الكريم الى الله تعالى فلم يصدقوا هذا الحادث واعتبروا ان كل ما لم يكن ضمن المحسوسات فأمر غير موجود، لهذا قالوا: (هذه والله الإمرُ البين، والله ان العير لتطرد شهراً من مكة الى الشام مدبرة وشهراً مقبلة أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع الى مكة) ولهذا طالب الكفار النبي عليه السلام بدليل يبين صحة أقواله بان يصف لهم بيت المقدس، عن جابر بن عبد الله انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لما كذبتني قريش حين اسرى بي الى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن آياته وانا أنظر اليه)، من هنا كان حادث الاسراء والمعراج والايمان به مما للايمان بالمغيبات والايمان بالنبوة على مر الزمان.

٢ - من دلائل حصول هذه الحادثة (وانها تمت بالروح والجسد أيضاً) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكر للكفار دلائل مادية تبين صدق رحلته وكلامه، وذلك لتمهيد لهم ان يبنوا إيمانهم بالغيب على دلائل مادية محسوسة، من ذلك ما جاء في حديث أم هانئ التي ذكرت فيه حادثة الإسراء والمعراج (قالت ام

هانئ لجارية حبشية لها: ويحك اتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسمعي ما يقول للناس، وما يقولون له: فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس أخبرهم، فعجبوا وقالوا: ما آية ذلك يا محمد فانا لم نسمع بمثل هذا قط، قال: آية ذلك أنني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا فأنفروهم حس الدابة فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنه موجه الى الشام، ثم اقبلت حتى اذا كنت بضحنان مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء، فكشفت غطاءه وشربت مافيه، ثم غطيت عليه كما كان وآية ذلك أن عيرهم الآن تصوب من البيضاء (تقترب من مكان قرب مكة) ثنية التنعيم (موضع بمكة في الجبل) يقدمها جمل أورق (لون بين البياض والسواد) عليه غرارتان احدهما سوداء والاخرى برقاء (اي ذات ألوان مختلفة) قالت ام هانئ أو الجارية فابتدر القوم الثنية فلم يلقيهم اول من الجمل (اي ان الجمل كان اول ما لقيهم - كما في سيرة ابن هشام)، كما وصف لهم وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماءً ثم غطوه وانهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ولم يجدوا فيه ماءً، وسألوا الآخرين وهم بمكة فقالوا: صدق والله، لقد انفرننا الوادي الذي ذكر وند لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا اليه حتى أخذناه) وبينما كان المسلمون يزدادون ايماناً وتصديقاً كان المشركون يزدادون عتواً وظلماً لأنفسهم «لما انزل الله قوله تعالى: «واذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس، والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغياناً كبيراً» ولما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم فكذبوا بذلك حتى قال ابو جهل عليه لعائن الله: هاتوا لنا تمرأ وزبدأ، وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول: تزقوموا فلا نعلم الزقوم غير هذا).

٤ - من دلائل صدق هذا الحادث ما قاله أبو بكر الصديق عندما أخبرته قريش بخبر الرحلة اذ قيل له: ان محمداً يزعم انه بلغ (بيت المقدس) ورجع، فقال: انا لنصدقك في نزول الوحي في طرفة عين) وقال في رواية أخرى (والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك فوالله انه ليخبرني ان الخبر ليأتيه من الله من السماء الى الارض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقك فهذا أبعد (وقيل

أعجب) مما يعجبون منه، ومنطق ابي بكر الصديق انه يصدق ان أمراً ما ينزل من السماء الى الأرض وهو وحي الله ، جبريل - وهو غير مرئي للبشر، فيصدق ذلك أن ذلك قد حصل، ألا يصدق ان أمراً ما (وهو نبي الله، وبشر يرى بالعين) يصعد الى السماء من الأرض، فكما أنه صدق الأولى، اذا يجب عليه ان يصدق الثانية، وهذا نموذج للتفكير المستنير.

الحادث والعلم الحديث؛

حادثة الاسراء والمعراج حدث تاريخي أخبر به النبي عليه السلام، وطريق الايمان به هو عن طريق تصديق ما ثبت صحته (القرآن الكريم والحديث الشريف - كما مر سابقاً) ولا ينبغي البحث عن أدلة علمية حول وقوع هذا الحادث أو إمكانية حدوثه، فيجب علينا ان نؤمن بهذا الحادث ايماناً (دينياً) قائماً على ايماننا بصدق النبي عليه السلام وصدق القرآن الكريم، ولكن بعض الكتاب المعاصرين يحاول تقريب هذا الحادث الى اذهان الناس كما قال الاستاذ محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد): (وفي عصرنا هذا يقر العلم نظريات قراءة الأفكار ومعرفة ما تنتطوي عليه كما يقر انتقال الاصوات على الأثير بالراديو وانتقال الصور والمكتوبات وغير ذلك مما كان يعتبر فيما مضى بعض أفانين الخيال وما تزال القوى الكمينية في الكون تتكشف لعلمنا كل يوم عن جديد، فاذا بلغ روح من القوة ومن السلطان ما بلغت نفس محمد فأسرى به الله ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي بارك حوله ليريه من آياته كان ذلك ما يقر العلم وكانت حكمة ذلك هذه المعاني القوية السامية في جمالها وجلالها). اي اذا كان الانسان يصدق ما تحقق علمياً هذه الايام من امور كانت خيالية في السابق اذاً عليه ان يصدق امراً خيالياً تم الحديث عنه بالسابق اذ لا يستغرب ان يتم اثباته علمياً فيما بعد وقال الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم الاستاذ في كلية الشريعة في الجامعة الاردنية (من الغريب حقاً ان العقل البشري وصل الى ما وصل اليه من الاختراع والاكتشاف حتى جاب الفضاء برواده ووصل الى الكواكب لا زال يتشكك في أمر عروج النبي عليه السلام الى السموات العلى بجسده بل الى حضرة قاب قوسين أو أدنى ليدخل في حضرة

الشهود خارج نطاق الحصر والقيود.. فاذا كان الانسان بطاقاته وقدراته المحدودة قد استطاع ان يصمم المركبات الحاملة للانسان والحائلة بينه وبين كل مقدرات وسنن ونواميس الفلك الذي تدور فيه والكون الذي تنزل عليه وتحل فيه فكيف يتصور مستحيلاً على قدرة الله التي لاتحدها حدود ان تنقل النبي عليه السلام في آلة الهية اسمها المعراج).

وتعقيباً على ذلك نقول ان الايمان بالإسراء والمعراج مبني عقلياً على ايماننا بصحة النبوة وصحة نسبة القرآن الكريم الى الله تعالى فلا يحتاج الى اي تفسير علمي او تقريب للذهن الى صحة هذه الحادثة.

الأطماع الصهيونية في مكان الإسراء والمعراج

جاء في الحديث الشريف عن النبي عليه السلام قال: أتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين) منذ هذه الحادثة (والجدار الغربي للحرم الشريف) يعرف بحائط البراق، واول استخدام لمصطلح حائط المبكى كان عام ١٩٢٩ إثر ثورة البراق التي حدثت في فلسطين في ذلك العام وكان استخدام ذلك المصطلح من قبل لجنة الدفاع اليهودية عن المبكى ثم توقفت التسمية الى عام ١٩٦٧م ولم يدع اليهود يوماً اي حق في الحائط بل كانوا قانعين بالذهاب اليه للنواح فقط، جاء في الانسايكلوبيديا اليهودية الصادرة في عام ١٩٧١: (ان اليهود لم يكونوا يصلون أمام الحائط الغربي الا بعد عام ١٥٢٠م بعد ان طردوا من اسبانيا وجاء بعضهم الى القدس وطلبوا من الحاكم العثماني ان يسمح لهم بالصلاة في ذلك الموقع فسمح لهم، وكانوا يبكون امام الحائط ، فسمي حائط المبكى، وقبل ذلك التاريخ كان الزوار اليهود يصلون على جبل الزيتون) وعند الحروب الصليبية منع اليهود من دخول القدس وكانوا يصلون عند الحائط الشرقي للحرم وان سليمان القانوني (السلطان العثماني) هو الذي اصدر (فرمانا) يسمح لهم بالصلاة عند الحائط الغربي وسرعان ما اجتذب الحائط اساطير كثيرة ثم ربط الحائط بأقاويل التلمود، ولكن اليهود وساعة احتلالهم الكامل للقدس عام ١٩٦٧ عمدوا الى مصادرة هذا الجدار واعتباره مكاناً يهودياً مقدساً وقاموا بهدم حارة المغاربة

الملاصقة له وتبليطها واعدادها للصلاة، علماً بأنه من اوقاف ابي مدين الغون، أنشئ، هو والاملاك المجاورة له في زمن السلطان صلاح الدين الايوبي لمنفعة جماعة من المغاربة المسلمين وقد أيد تقرير هيئة عالمية شكلت زمن الانتداب على فلسطين حق المسلمين وحدهم في هذا الحائط وقدمت تقريراً بذلك سنة ١٣٤٩هـ / ١٩٢٠م وجاء في تقرير عصبة الامم المتحدة الصادرة عام ١٩٢٠:

١ - للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من املك الوقف.
٢ - للمسلمين ايضاً تعود ملكية الرصيف الكائن امام الحائط وامام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفاً حسب احكام الشرع الاسلامي لجهات البر والخير.

٣ - ادوات العبادة التي يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط لايحوز بحال من الأحوال ان تعتبر او يكون من شأنها انشاء اي حق عيني لليهود في الحائط او الرصيف المجاور له.

٤ - لليهود حرية السلوك الى الحائط الغربي لاقامة التضمرعات.

ومع ذلك فما زالوا يعتقدون ويريدون من الجميع ان يعتقد ان هذا الجدار هو جزء من هيكل سليمان المزعوم.

وفكرة انشاء هيكل على اطلال هيكل سليمان (المزعوم) فكرة اصيلة في التفكير الصهيوني فهو مركز العبادة القربانية المركزية وكان اليهود يحجون اليه في اعيادهم ويدعون ان الله تعالى خلق الارض بيد واحدة بينما خلق الهيكل بيديه كليهما بل ان الاله قرر بناء الهيكل قبل خلق الكون نفسه، وبشكل سريع فان اليهود يدعون ان هذا الحائط (حائط البراق) هو من بقايا الهيكل متناسين ان الهيكل الاول الذي بناه سليمان عليه السلام عام (١٠٠٥) ق.م قد هدمه نبوخذ نصر في عهد الكلدانيين عام ٥٨٧ ق/م ومتناسين ايضاً ان الهيكل الثاني الذي بناه هيرودس الادومي الاصل عام ١٨ ق.م قد هدمه تيطس الروماني عام (٧٠م) وازال آثاره بالكامل هديران الروماني عام ١٣٥م الذي هدم جميع القدس حسب ما جاء على لسان المؤرخ اليهودي (Flavius Jose Pitus) وجعل القدس

مستعمرة رومانية ليس لليهود اي حق للعيش فيها، وكذلك لم يتفق اليهود انفسهم على مكان هذا الهيكل فهم يقولون انه في مكان الصخرة في مسجد قبة الصخرة أو انه على جبل الزيتون أو انه في اريحا أو في اماكن اخرى.

ان ارادة اليهود في نفس الاقصى وهدمه ثم بناء الهيكل مكانه أمر جاء في الفكر الصهيوني فتوجد مدرستان تلموديتان بالقرب من حائط البراق يدرس فيهما نحو مئتي طالب شعائر العبادة الغربانية للقيام بها عند اعادة تشييد الهيكل، كما عقد عام ١٩٩٠ مؤتمر في (اسرائيل) لليهود الذين يعتقدون انهم من اصل كهنوتي، وبدأ معهد الهيكل في اعداد الملابس الخاصة التي يتعين على الكهنة ارتداؤها وبدأت المدارس الدينية في اعداد ادوات العبادة الغربانية وانتهت من ثمان وثلاثين منها وتم وضعها في متحف وهم في سبيلهم الى اعداد الخمس والستين الباقية وهناك في فندق الهيكل في القدس مجسم مصغر للهيكل وينوون ان يبنوا مجسماً آخر اكبر حجماً يتكلف مليون دولار يتم جمعها من يهود العالم دون سواهم وقامت جماعة امناء الهيكل بوضع حجر الاساس للهيكل الثالث في احتفال تحت اشراف رئيس الجماعة المدعو جرشوم سالمون وقد حضر الاحتفال الذي جرى في منتصف شهر اكتوبر تشرين الام عام ١٩٨٩ كاهن يرتدي ملابس كهنوتية خاصة مصنوعة من الكتاب المغزول باليد من ستة خيوط مجدولة تم اعدادها في معهد الهيكل، وقد أعد الصهاينة عدة تصورات (سيناريوهات) لهدم الأقصى وبناء هيكل مكانه منها: حفر خندق حول مبنى قبة الصخرة المشرفة ونقل المبنى الى مكان آخر وبناء الهيكل فوق صخرة المعراج الموجودة داخل مبنى قبة الصخرة المشرفة، ومن الطبيعي ان مبنى قبة الصخرة سيهدم بهذا الاسلوب لأنه ليس بناء معدنياً أو مسلحاً، وتصور آخر هو هدم مبنى المسجد الأقصى وبناء الهيكل مكانه بحيث يكون مدخله من الجهة الجنوبية. وتصور آخر هو هدم مبنى المسجد الأقصى ومبنى قبة الصخرة المشرفة وكل الأبنية الأخرى داخل أسوار المسجد الأقصى وبناء الهيكل في وسط ساحات الأقصى، وقد نشرت صور مجسم لهذا الاقتراح في مجلات عالمية وتصور آخر هو بناء الهيكل بين مبنى المسجد الأقصى ومبنى قبة

الصخرة المشرفة بحيث يكون قدس الأقداس (مكان مزعوم تقديسه عند اليهود)
في مكان موقع كأس الوضوء الدائري القائم حالياً.
كل هذا يدعو المسلمين الى أخذ الأمور بمنتهى الجدية وعدم تركها للأيام
تعالجها حسب الامر الواقع.
تحذير:

في رحلة الإسراء والمعراج الكثير من الأقاصيص والحكايات والخرافات
الشعبية بل والأحاديث الضعيفة والموضوعة أو التفسيرات المنكرة منها:
يزعم أن الصخرة معلقة بين السماء والارض، وهذا يرفضه الواقع الملموس
فهي مستقرة على الارض، ويزعم أن مياه الارض كلها تخرج من تحت صخرة
بيت المقدس، ويزعم أن ولد هارون كانوا يجيئون الى الصخرة ويسمون الهيكل
فينزل عليهم زيت من السماء فتدور في القناديل فتملأها من غير أن تمس وتنزل
نار من السماء فتضيئها وتدخل باب الرحمة، وهذا غير صحيح ولا دليل عليه،
ويزعم أن قبة الصخرة هي قبة الارواح (قبة صغيرة مبنية في ساحات المسجد
الاقصى) ويقال أن قبة الارواح هي قبة الخضر وقد بنيت في عهد المماليك،
ويزعم أن العمود الرخامي الملقى طرفه الأسفل على طرف الصفة الموجودة في
جهة الشرق من الصخرة لحق النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فأمره
جبريل أن يبقى مكانه، وهو زعم ينفيه الواقع، على المسلم أن يكتفي بالإيمان بما
جاء في كتب السيرة المعتمدة مثل سيرة ابن هشام وكتب الحديث من الصحاح
والمسانيد والسنن وهناك كتاب للشيخ محمد ناصر الدين الألباني تتبع فيه
الاحاديث الواردة في الحادثة وينبغي التحذير من كتاب يسمى (معراج ابن
عباس) فهو كتاب ملفق من مجموعة أحاديث باطلة لا أصل لها ولا سند، وقد
شاء ذاك الذي فعل فعلته الشنيعة هذه أن يلصق هذه الأكاذيب بابن عباس
رضي الله عنه، والمدح والثناء من أمثال د.
لويس عوض.

الأمر الآخر أن هذه الحادثة وبعد أن انتقلت أخبارها الى العالم الغربي، وفي
عصر ما يسمى بالنهضة، الهبت خيال الشعراء والكتاب هناك، ومنهم (دانتي

الليجيري الايطالي) والذي كتب مؤلفه الشهير (الكوميديا السوداء) وهو يصف رحلة الى العالم الآخر ويصف فيها مشاهداته في جهنم حيث يصف بشكل بشع قدر ما ادعاه من رؤيته للرسول عليه السلام وعلي بن ابي طالب وانهما يعذبان في جهنم عذاباً شديداً لأنهما كانا في هذه الدنيا من الكاذبين، ومن المؤسف له ان هذا الكتاب يحتل مكانة مرموقة في الادب المترجم الى العربية، حيث يوصف (دانتي) بأنه اديب لامع.

المراجع

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري/ابن حجر العسقلاني.
- ٣ - حدائق الانوار ومطالع الاسرار في سيرة النبي المختار صلى الله عليه وسلم. محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي.
- ٤ - القدس وانتفاضة الأقصى/محاضرة للمهندس رائف نجم في مؤسسة شومان ٢٣/١٠/٢٠٠٠ .
- ٥ - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية/عبد الوهاب المسيري.
- ٦ - الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة/هاشم يحيى الملاح.
- ٧ - السيرة النبوية/ابن هشام.
- ٨ - السيرة النبوية/ابو الحسن الندوي.
- ٩ - الرحيق المختوم/صفي الرحمن المباركفوري.
- ١٠ - فقه السيرة/محمد سعيد البوطي.
- ١١ - حياة محمد/محمد حسين هيكل.
- ١٢ - مختصر تفسير ابن كثير/محمد علي الصابوني.
- ١٣ - الشيخ عبد الحميد السائح حياته وفكره ومواقفه/زياد احمد سلامة.
- ١٤ - مفاهيم اسلامية/محمد حسين عبد الله.
- ١٥ - نفي الخرافات والأضاليل عن المسجد الاقصى/د. عبد العزيز الخياط.